اعرف عدوك

الخدمات السرية للصهيونية

بقلم . أ. بوتلتيسكي

ان الاخفاقات المتكاثرة لعملاء الجاسوسية الاسرائيلية في الجمهورية العربية المتحدة ، والعراق ، وسوريا ، والاردن قد اجتذبت من جديد الاهتمام العام الى النشاط التخريبي لجاسوسية تل ابيب. وعلى نحو أدق ، فان الحديث يدور عن الخدمات السرية للصهيونية العالمية ، التي تمثل الجاسوسية الاسرائيلية جزءا لا يتجزأ منها .

حريجو الانتلجنس سرفيس

بالرغم من ان اسرائيل قد ظهرت الى الوجود عام ١٩٤٨ ، الا ان خدماتها التجسسية اعرق من ذلك بكثير . ان الجهاز الدائم الجاسوسيه الاسرائيليه المسمى (شيروت اسرائيل) ـ في الترجمه «خدمة اسرائيل» ـ كان قد انشيء منذ عام ١٩٣٧ في الادارة السياسية للوكالة اليهودية ـ المنظمة الصهيونية ، التي تنظم هجرة اليهود الى فلسطين .

وقد ربط القادة الصهاينة آمالهم بانشاء «الوطن القومي» في فلسطين على نحو استثنائي بعطف الدول الاستعمارية ، وبالدرجه الاولى بريطانيا العظمى . وفي انجيل الصهيونية ـ كتاب « دولة اليهود » ـ الذي كتبه عند نهاية العام الماضي تيودور هيرتزل ، يشار الى ما يلي : «بالنسبة لأوربا سننشيء نحن هناك (في فلسطين) مخفرا أماميا ضد آسيه ، سنكون طليعة للعالم المتحضر ضد البربرية» . وخلال بضعة عقود من السنين ، كان رئيس المنظمة الصهيونيه العالمية حييم وايزمن ، الذي اصبح فيما بعد اول رئيس لاسرائيل ، قد اقنع السياسيين الاستعماريين في لندن ب «ان فلسطين اليهودية ستكون حصنا لانكلترا ، خصوصا في منطقة قناة السويس» .

ان الكلمات المزوقة قد شفعت بالاعمال الغدرة . ان (شيروت اسرائيل) قد اشتغلت بالتجسس السياسي وحاربت العناصر التقدمية بين سكان فلسطين العرب منهم واليهود . ان رئيس قسم المخابرات لهذه المنظمة ، عزرا غالبيرين ، الذي عمل مع الانكليز ، قد اصبح في دولة اسرائيل على رأس جهاز الجاسوسية المضادة (شيروت بيتاخون ـ اختصارا يدعى شين بيت) . وقد شغل مكانة قيادية في الجاسوسية الانكليزيه كل من : شيلواخ ، كوليك ، غابريئيلي وقادة اخرون سابقون وحاليون في شبكات تل ابيب التجسسية . وفي المخابرات الانكليزية السرية ، اشتغل ، مثلا ، الوزير الحالي لخارجية اسرائيل أبا ايبان ، الذي خدم هناك حتى وصل رتبة مقدم .

وبعد تشكيل اسرائيل ، اصبح الهيكل الاساسي لمصالحها التجسسية ملاكات (شيروت اسرائيل) ، وكذلك ثلاث مجموعات مسلحة سرية ، تعمل في اراضي فلسطين : الهاغانا ـ (الدفاع الذاتي) ، وايرغون تسفاي ليومي (المنظمة العسكرية القومية) وشتيرن (باسم منظم هذه المجموعة) . وكتبت جريدة «سانداي تلغراف» إن كثيرا من الاسرائيليين كانوا قد ذهلوا يوم ان علموا ان الهيئات الحكومية المتنفذة كانت تحت قبضة المتعصبين والمتطرفين من شتيرن وايرغون تسفاي لومي . ولكن قادة تل ابيب الصهاينة كانوا يعرفون ما يعملون. وكان اول رئيس وزراء لاسرائيل ، بن غوريون ، الذي كان هو نفسه احد كبار موظفي الجاسوسية الانكليزية ، قد وعد قادة الانتلجنس سيرفيس بتعاون وثيق مع مصالحها التجسسية في محاربة حركة التحرر الوطني في الشرق العربي . ولم يكن افضل من متعصبي شتيرن وايرغون تسفاي ليومي للعمل لبلوغ هذه الغاية .

حلف شرير

اقترن اضمحلال نفوذ انكلترا في الشرق الاوسط ، في اعوام ما بعد الحرب ، بتعزز مواقع الولايات المتحدة هناك . وبناء على تعاظم نضال التحرر الوطني للشعوب العربية والشعوب الاخرى المعادي للاستعمار صار الاستعمار الامريكي يحتاج الى خدمات القادةالصهاينة. وفي خطط ستراتيجيي واشنطن عهد الى اسرائيل بالقيام بدور كلب الحراسة للمصالح الاستعمارية في الشرق الاوسط . وآنذاك ، ومنذ بداية الخمسينات ، نشأت صلات وثيقة بين المصالح السرية الامريكية والاسرائيلية .

وليس صدفة ، ان منظومة اسرائيل التجسسية تبدو كما لو انها نسخة مصغرة من المنظومة التجسسية للولايات المتحدة . ففي الولايات المتحدة يدار نشاط كافة المنظمات التجسسية بواسطة لجنة استشارية تجسسية ، رئيسها هو مدير لوكالة الاستخبارات المركزية ـ يخضع مباشرة للرئيس الاميركي . وفي اسرائيل توجد بالضبط مثل هذه اللجنة التنسيقية . كما ان رئيسها يرأس في ذات الوقت الجهاز الاساسي في منظومة اسرائيل التجسسية ـ الادارة المركزيةللجاسوسية والامن (ريشوت موساد) . وتوجد في الولايات المتحدة وفي اسرائيل ايضا مصالح تجسسية في الهيئات العسكرية والدبلوماسية . ومقابل الامن السياسي الاميركي (فبر) توجد (شين بيت) .

ان تماثل البنية التنظيمية يسهل تنسيق نشاط الوكالات التجسسية للبلدين . وبشهادة المجلة الفرنسية (اكسبريس) ، فان العدوان الاسرائيلي في حزيران ١٩٦٧ ضد ج.ع.م وسوريا والاردن كان قد خطط بحسبان المعطيات التي تم تلقيها من وكالات استخباراتحلف الناتو ، واكثر من ذلك من وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية . وبفضل مساعدة «الشركاء القدماء» استطاعت جاسوسية تل ابيب ان تقدم للقيادة العسكرية الاسرائيلية المعلومات عن القوات المسلحة للاقطار العربية ، والخطط الستراتيجية والتكتيكية ، وتوزيع شبكات الطيران العربي في المطارات

ومفهوم ان وكالة الاستخبارات المركزية لا تريد ان تفضح ارتباطاتها بالوكالات الاسرائيلية السرية . ولكن معلومات ما بهذا الشأن تتسرب، من وقت لاخر ، الى الصحافة . وهكذا ، نشرت الجريدة اللبنانية «المحرر» مواد عن مشاركة وكالة الاستخبارات المركزية في الغارة القرصنية للمظليين الاسرائيليين على مطار بيروت الدولي في كانون الاول ١٩٦٨ . وافادت الجريدة بان الموظفين الامريكان العاملين في المطار استطاعوا الحصول على وثائق عن تحليقات طائرات الطيران المدني اللبناني والاقطار العربية الاخرى . وقد ارتبط بهم ، وفقا لكلمات هذه الجريدة ، عميل وكالة الاستخبارات المركزية في لبنان جوليوس سيفغر ، الذي يعمل كدبلوماسي . ان حقيقة ان الغارة الاسرائيلية قد تمت في لحظة وجود اكبر عدد ممكن من طائراتالخطوط العربية ، يمكن تفسيرها ـ وفقا لما تقوله « المحرر » ـ بالعون الذي قدمه للمخربين الاسرائيليين زملاؤهم من وكالة الاستخبارات المركزية.

ووفقا لما تقوله الصحافة ، فان الجواسيس الامريكان يقدمون الى اسرائيل معلومات هامة ، يجمعونها من الاقطار العربية .

ولا يبقى الصهاينة الاسرائيليون مدينين امام حماتهم . ان أكبر قيمة بالنسبة للجاسوسية الاسرائيليةتمثلها اعمال الوكالاتالتجسسية الاسرائيلية ضد الدول الاشراكية، وخصوصا ضد الاتحاد السوفييتي. وكمثال ، ففي الخمسينات ، ساعدوا هم الجاسوسية الاميركية في اقتناء عملة الاقطار الاشتراكية . وقد قام العملاء الصهاينة ، لصالح الامبريالية العالمية ، بتخريبات ايديولوجية ضد النظام الشعبي في

بولونيا وتشيكوسلوفاكيا . ولاجل التشكيك في سياسة اقطار الاشتراكية تعد الاجهزة السرية الصهيونية مواد دعائية زائفة عما يدعى في زعمها بمعاداة السامية

وأخيرا ، لا يجوز ان لا نذكر حقلا اخر اقامت فيه جاسوسية اسرائيل والولايات المتحدة تعاونا وثيقا . انه ـ اقطار افريقيا الاستوائية . فان المستشارين التكنيكيين والعسكريين الاسرائيليين في هذه الاقطار الافريقية يشتغلون بالتجسس الصريح ، مقدمين المعلومات التي يحصلون عليها الى دوسيه وأرشيفات وكالة الاستخبارات المركزية . وعبر البعثات العسكرية ، المكتشفة قبل امد وجيز في الاقطار التي تتاخم جنوب السودان ، فان الوكالات السرية الاسرائيلية تحاول ان تقدم المساعدة الواسعة الى المتمردين في جنوب السودان ـ الانفصاليين ، الذين يعملون ضد الحكومة التقدمية في الخرطوم

حادثة في حي فوش

ان الخصيصة المميزة لخط الجاسوسية الاسرائيلية ـ هي استغلال الرواسب والترهات القومية . ان بود القادة الصهاينة ان يضعوا علامة المساواة بين الصهاينة واليهود ليس في اسرائيل ، وانما في كل ما يدعى «ديسابورا» ، اي في كل مكان في العالم ، حيث يعيش اليهود خارج اسرائيل . ان اعضاء المنظمات الصهيونية ـ هم احتياطي ممكن لوكالات تل ابيب التجسسية . وقد كتب الصحفي الانكليزي الشهير ، سافتون ديلمير ، منذ عام ١٩٦٢ ، في جريدة «سانداي تلغراف» : «ان اكبر كمية من المعلومات السرية مما يقع بايدي شين بيت ، يقدمها الصهاينة والعاطفون على الصهيونية في العالم».

والى عداد هؤلاء الناس ينتسب ميشيل سافيرشتاين ، المترجم في مقر اركان حلف الناتو ايام وجد في باريس . فقد كان هذا يعمل خفية لصالح الادارة المركزية للجاسوسية والامن الاسرائيلي ، كما كان يمد بانتظام زملاءه الاسرائيليين بالمعلومات الخفية عما يجري من امور خلف كواليس حلف الناتو . ولكن ها قد حل يوم اشترت فيه الاستخبارات الالمانية الغربية هذا العميل . ولم تتأخر (ريشوت موساد) في الانتقام . وفي احد ايام عام ١٩٦٧ وجد سافيرشتاين مقتولا في شقته بحي فوش في باريس .

وبالطبع ، فان «الخصامات العائلية» ، من قبيل «قضية سافير شتاين» لا تجد انعكاسها بحال في التعاون العملي اليومي بين الاستخبارات الالمانية الغربية وبين وكالات تل ابيب السرية . وانها لكبيرة جدا العمومية والاشتراك في المصالح الطبقية ، الذي يرسخ في اساس علاقاتها . والى ذلك ، فان بعضا من القادة الحاليين للاستخبارات الالمانية الغربية يحوز تجربة عريقة في الاتصالات مع بعض الشخصيات الصهيونية .

ففي سنوات الحرب العالمية الثانية ، كان بعض الصهاينة الذين جندهم الفستابو والابفير (الجاسوسية العسكرية الهتلرية والجاسوسية المضادة) ، قد انشأوا في بولونيا منظمة «فاكل» ، التي كان لاعضائها مهمة التوغل في خلايا المقاومة . وقد عثر الوطنيون البولونيون على اثر «فاكل» هذه . وقدموا اسماء الخونة الى زعماء الانتفاضة في حي الغيتو بوارشو . وبموجب حكم المحكمة العسكرية اطلق الرصاص على الكثير من الخونة

ولكن بعضا من الصهاينة المتعاونين مع النازيين سلموا . ففي غمرة المحاولات لازالة آثار الجريمة ، صفت الجاسوسية الاسرائيلية ، مثلا ، في نهاية الخمسينات ، الرئيس السابق لفرع الاستخبارات اليهودية في هنغاريا ، رودولف كاستنر . وقد اعيت ، قبيل ذلك ، ان كاستنر قد ارتبط اثناء الحرب ـ بموجب تخويل من الصهاينة البارزين ـ مع الفستابو والابفير . وخوفا من التعرض للشبهة عهد القادة الصهاينة لـ (شين بيت) التخلص من الشاهد الخطر .

وقد لعب دورا مريبا جدا ، زعيم (شين بيت) المشهور تحت الاسم المستعار «اياكوف» ، الذي كتبت عنه قبل بضع سنوات خلت المجلة الهامبورغية «شبيغل» . ان كل المعطيات تقول انه كان مرتبطا بالجاسوسية الهتلرية ، وضالعا ، على وجه الاخص ، بمأساة ذهب ضحيتها بضع مئات من اليهود . ان الحديث يدور ، هنا ، عن غرق باخرة «ستروم» في مياه البسفور عام ١٩٤٢ ، وهي التي كان على ظهرها قد توجه اللاجئون اليهود من اقطار البلقان . ان هذه الرحلة غير الاعتيادية ، التي سمح بها الهتلريون ، كانت نتيجة للاتفاق مع الابفير ، التي كانت تريد ان تقذف ـ تحت اسم اللاجئين ـ بوكلائها في مؤخرة الانكليز . واذ عرفوا ان هذه الخطة قد انفضحت ، قذف النازيون بـ «ستورم» الى الاعماق . ان اياكوف بالذات ـ الرئيس المقبل لـ «شين بيت» ـ كان هو الذي اجرى مع الهتلريين المفاوضات بخصوص رحيل هذه الباخرة .

متى ابتدأ التعاون بين وكالات بون السرية وبين تل ابيب ؟ مفهوم، ان الوثائق التي تخص هذا الموضوع تحفظ بعيدا عن الايدي، بعيدا عن العيون . ولكن توجد ادلة اخرى ، غير مباشرة .

ان الاتفاق الاولي حول الاتصالات الاولى بين وكالة الاستخبارات الاتحادية وبين الاستخبارات العسكرية شيروت مودين ، كان قد تم التوصل اليه ، فيما يبدو ، في آذار ١٩٦٠ اثناء اللقاء بين رئيس وزراء اسرائيل بن غوريون ومستشار المانيا الغربية اديناور في نيويورك . وقد نافشا، آنذاك ، المسائل المتعلقة بعملية (ايخمان) الوشيكة . وقد افلح اديناور في ان يحصل من زميله الاسرائيلي على وعد بعدم مهاجمة المانيا الغربية في مجرى العملية ، وخصوصا على وعد في ان ترفض المحكمة التي تنظر في قضية ايخمان مطلب وكلائه في ان يستدعى بصفة شاهد احدا من مشرعي (قوانين نورمبرغ) المعادية للسامية هايس غلوبوكه ، الذي كان اليد اليمنى لاديناور .

وقد نفذ بن غوريون كافة مطاليب اديناور . وبدوره قدم المستشار الالماني التزامه بتجهيز اسرائيل بالسلاح بما قيمته ٣٢٠ مليون مارك. وكان هذا اساسا للتعاون العسكري التالي بين بون وتل ابيب، ولعقد اتفاقية في حقل النشاط التجسسي .

وغالبا ما تطالع الانظار في الصحافة ، وعلى نحو مريب ، اسماء المواطنين الالمان الغربيين، الذين اختاروا ادوار جواسيس اسرائيليين. ان فولفغانغ لوتس وزوجته فالتراوت قد ترأسا في الجمهورية العربية المتحدة منظمة جاسوسية اسرائيلية . وفي صيف عام ١٩٦٩ فبضت اجهزة المباحث في القاهرة على مجموعة تجسسية اخرى . ومرة اخرى كان رئيس المجموعة مواطنا بجمهورية بون .

وفي خريف العام المنصرم وقعت في سويسرا فضيحة كبيرة . فقد اتضح ان الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية (شيروت مودين) كانت قد جندت الفريد فراوينكنيخت ، رئيس القسم التكنيكي لشركة الطيران السويسرية زولتسير . ولقاء ٨٦٠ الف فرنك سويسري قدم هو ، في خلال ١١ شهرا ، الى الاسرائيليين ١٥٠ الف (!) تصميما سريا وسوى ذلك من الوثائق ، المتعلقة بانتاج محرك صاروخي للمقاتلة الفرنسية «ميراج» . ويجتذب الانتباه امر معين في كل هذه الواقعة. ذلك ان الخط الاساسي للمواصلات ، الذي نقلت بواسطته الوثائق الجاهزة الى تل ابيب ، كان يمر عبر المانيا الغربية . وكأن حرس الحدود ورجال الكمارك الالمان الغربيين قد عموا فجأة ، وصاروا لا يلاحظون كيف مرت تحت انوفهم ثلاثون صندوقا تحمل الوثائق المخطوفة. وقياسا على كل الاحتمالات ، فان الجواسيس العسكريين الاسرائيليين قد استغفلوا الزملاء الالمان الغربيين .

●

وبالطبع ، فممكن ان نسوق امثلة اخرى لوقائع مماثلة . انها جميعها تتحدث عن شيء واحد : هو ان الجاسوسية الاسرائيلية ـ الصهيونية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالشبكات التجسسية للدول الاستعمارية ، وتشكل عنصرا لا يتجزأ منها . أفليس هذا شهادة على ان زعماء الحركة الصهيونية يهتمون ، افل الجميع ، بمصالح الشعب اليهودي . انهم قلبا وقالبا يخدمون حماتهم الامبرياليين .

ترجمها عن الروسية **جليل كمال الدين**